اسم الدرس : سورة المجادلة ج2

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم-.

هذه الحلقة الثانية من وقفات مع سورة المجادِلة،

هذه السورة المدنية التي تكلمنا في المرة الماضية عن خصائصها؛ هذه السورة التي بدأت بتأكيد وتحقيق أن الله -عز وجل- معنا يسمع كل شيء -سبحانه وتعالى- يعلم كل شيء، -سبحانه وتعالى-.

لفظ الجلالة الذي تكرَّر في كل آية، أهمية الكلمة، خطورة المصطلحات، الحدود التي وضعها الله -عز وجل-، خطورة تجاوز هذه الحدود، تكلمنا عن هذه المواضيع في المرة الماضية.

أما اليوم نتكلم بإذن الله -عز وجل- عن مواضيع تخصّ التناجي والنجوى سواء بين المؤمنين أو بين اليهود والمنافقين، علاقة الصفّ المسلم وتجمُّعه عند النبي -صلَّى الله عليه وسلم-، هذه مواضيع نتكلم عنها بإذن الله -عز وجل- في هذه الحلقة.

شعارات قرآنية : أحصاه الله ونسوه !

كنا توقفنا في المرة الماضية عند الآية السادسة، يقول ربنا -سبحانه وتعالى-: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا" [المجادلة:6]، ينبئهم:أي يخبرهم.. النبأ هو الأمر العظيم.

"أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ" ..

نحن قُلنا نريد أن نخرج بشعارات قرآنية من هذه السورة، المرة الماضية تكلَّمنا عن شعار "قد سمع الله"، هذه المرة من الشعارات القرآنية: "أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ"، أحصاه الله :أيْ كل ما فعله الإنسان، ولاسيَّما الذنوب الأخطاء التي وقع فيها الإنسان ..."ونسوه".

لو الآية تتكلم عن المنافقين تحديدًا ، فقضية النسيان هنا فيها نوع من أنواع العتاب، كيف تنسى الذنب؟! كيف تنسى الكبيرة؟! كيف لا يهمك هذا الأمر؟!

سيدنا عمر بن الخطاب عندما قام بمجرد نقاش مع النبي – صلَّى الله عليه وسلم- في الحديبية قال: (فظللتُ أفعل لذلك أعمالًا)، ظل متذكّرا لهذا الموقف.

(إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه وإنَّ الفاجرَ يرَى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به هكذا، فطار)[1] صحيح البخاري.

إذًا كلمة "ونسوه"، لو الأمر هنا يخصّ الكافرين ففيه نوع عتاب أيْ لا تنسى، إياك أن تنسى ذنوبك، حاول أن تتوب منها، إيّاك أن تتعامل معها تعامُل اللا مبالي، فالنسيان قد يكون إشارة -كما أشار إلى ذلك الزمخشري-، أن النسيان قد يكون إشارة إلى اللامبالاة بالمعصية و التعوُّد عليها.

لكن الله -سبحانه وتعالى- لم يقل: جمعها الله مثلا...بل

"أَحْصَاهُ اللَّهُ"، الإحصاء: الجَمْع التام لكل شيء، "**أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**"... كل شيء... أي العموم... الله -عز وجل- شهد ذلك، ويعلم ذلك، وسمع ذلك، ورأى ذلك -سبحانه وتعالى-.

ثم تأتي الآية التي تليها لزيادة الإقرار؛

السورة مليئة بإقرار أن الله سمع، "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ"، "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" [المجادلة:1]، بصيغة المضارع وبصيغة الماضي..."أحصاه الله" ... "على كل شيءٍ شهيد".

[1] [عن الحارث بن سويد:] قال عبدُ اللهِ [ابنُ مسعودٍ]: إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه وإنَّ الفاجرَ يرى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به هكذا، فطار.- الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ٢٤٩٧ • صحيح • أخرجه البخاري (٦٣٠٨) باختلاف يسير، والترمذي (٢٤٩٧)، وأحمد (٣٦٢٩) واللفظ لهما

اللَّهُ يَعْلَمُ ..

ثم بعد ذلك تأتي هذه الآية العظيمة التي تتكلم عن علم الله الشامل المحيط :

"أَلَمْ تَرَ" [المجادلة:7]، أي :ألم تعلم علمًا يقينيًا يصل إلى درجة الرؤيا، "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ"، هذه حقيقة قرآنية لا بُدَّ أن تستقر في قلبك.

"مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا"[المجادلة : 7]، مشهد ثلاثة يتكلمون و أنت تتخيل أن معية الله هي رابعهم، علْمه -سبحانه وتعالى- معهم.

مشهد خمسة يتكلمون ويفكرون، ويخططون، وينظمون، تخيل لو أنهم استحضروا هذا المشهد العظيم، أنَّ معية الله معهم!!!

تخيل كيف سيفكرون! كيف سيكون نقاشهم! كيف سيكون حديثهم! كيف سيخططون! كيف سيدبرون حياتهم لو استحضروا هذا المشهد العظيم!!!

وهي ليست فقط معيَّة ولا ينبني عليها شيء!، بل انظر إلى تكملة الآية "ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فهو سبحانه يُنَبِّيء ويُخبِر بما تكلَّم به العبد، معية شاملة، فيُعاقب ويُذكِّر ويُنَبِّأ بما فعله يوم القيامة، "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"، لذلك قالوا ختام الآية بالعلم يدلّ أن المعية هنا معية بعلمه -سبحانه وتعالى-.

بعض العلماء وقف عند المقصود بالنَّجوى في الآية وخاصةً بعد آيات الكفار كترابُط بين الآيات،

فما المقصود بالنجوى؟

قيل:هذه المجالس التي كانت بين قادة المشركين أو اليهود والمنافقين للتخطيط لعداوة أهل الإسلام، يخططون كيف يطفئون نور الدين –ولن يستطيعوا أبدًا–... كيف يطفئون نور الإسلام –ولن يستطيعوا أبدًا–، فكانت هذه المجالس بينهم ... قد تكون ثلاثة، قد تكون خمسة...

ولذلك بعض المفسرين من المتأخرين– مثل الشيخ حبنكة –توقف عند الأعداد ثلاثة وخمسة في الآية الكريمة ... العلماء المفسرين حاولوا يبحثوا عن العلّة،

هل هو مجرد أنّ ذكر الرقمين ثلاثة وخمسة وبعدهما أدنى وأكثر ليشمل كل الأرقام ..أم أن اختيار الرقمين كان لمقصد؟؟

بعضهم قال الأعداد الفردية التي ذُكرت هنا ، لأن جلسات المشورة تكون فردية (أي اثنين متخاصمين وواحد يفصل بينهما)، فلا تكون أعداد زوجية..

عموما أيًّا كان؛ فالمجالس هنا ليست مجالس عابرة، لكنها مجالس تخطيط وعداء لأهل الإيمان، فالمؤمن حينما يسمع هذه القضية يطمئن أن الله –عز وجل– يعلم ذلك، وأن هذه المجالس التي تحدث –بما فيها من كيد وعداء لأهل الإيمان–الله –عز وجل– مُطلّع عليها ويعلم ما يدور فيها، وأيضًاهذا يُنبه المؤمن في تعامله بينه وبين إخوانه، فيعلم أنه –حين يتناجى مع آخر– أن الله –عز وجل– يعلم ما يحدث ومطلع عليهم، "وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا"، "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

ثم قال تعالى : "أَلَمْ تَرَ"، تَعجُب من طائفة من الناس، "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ" [المجادلة:8]

نلاحظ أنَّ السورة تتكلم عن التَّنَاجي، هناك نجوى حدثت في أول السورة كانت بين المرأة وبين النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، ذهبت المرأة والحوار كان بينها وبين النبي –صلَّى الله عليه وسلم– حتى أمُّنا عائشة كانت في جانب البيت لم تسمع هذا الحوار، فالسورة تتناول خبايا يعلمها الله وحده :

- الحوار الذي دار بين المرأة وبين النبي –صلَّى الله عليه وسلم–،
- النجوى التي كانت بين اليهود،
- النجوى التي بين المؤمنين،

- العلاقات التي بين المنافقين وبين اليهود،
- المودة التي في قلوب بعض المنافقين لأهل الكفر،
- العلاقات التي كانت بين المؤمنين وبين أقربائهم من المشركين،

كل هذه الخبايا التي في السورة يعلمها الله –عز وجل-.

إذًا السورة كاشفة تُعلِّم المؤمن أن الله عز وجل- مُطَّلِعٌ على الكلمات، على الخبايا، على النجوى، على المشاعر، الله عز وجل- مُطَّلِع على كل ذلك.

تخيَّل جيل ينشأ مُتربى على هذه العقيدة، تخيَّل الأطفال تنشأ أن هذه السورة التي يحفظوها نزلت بسبب امرأة تكلمت مع النبي –صلَّى الله عليه وسلم– في شأن حدث بينها وبين زوجها!!!

تخيل هذا الجيل كيف يكون!!!

الطفل يخاف أن يكذب، الرجل يخاف أن يكذب في البيع والشراء، تخيل مجتمع يعيش بهذه القضية،

قضية المراقبة من أَجَّلِ الأشياء التي تزرعها هذه السورة في قلب المؤمن

النجوى والهزيمة النفسية !

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ" [المجادلة:8]

غالبًا الآية تتكلم عن اليهود بدليل قوله تعالى "وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ"، لأن اليهود كانوا يأتون النبي –صلَّى الله عليه وسلم– ويقولون السام عليك، (عليهم من الله ما يستحقون)، هؤلاء هم الذين كانوا يُحيّون النبي –صلَّى الله عليه وسلم– بما لم يحيّه به الله،

وبعض المفسرين قال: السياق مستمر مع المنافقين؛ فمن الممكن أن يكونوا المنافقين، أيًّا كان اليهود أو المنافقين، والأرجح أنهم اليهود.

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ"، كان اليهود قبل أن يُجليهم النبي -صلَّى الله عليه وسلم- من المدينة، كان اليهود بينهم وبين رؤوس المنافقين علاقات يتناجون أمام أهل الإيمان، تخيَّل مؤمن يمر في الطريق ويجد اليهودي يتكلم مع المنافق ويُسِرّ في الكلام، المؤمن يظن أن هناك تخطيط لقتله، أو تخطيط لحرب، أو أذي سيحدث...هناك مصيبة ستحدث؛ فيخاف المؤمن.

فالنبي -صلَّى الله عليه وسلم- نهى عن مثل هذه النجوى التي تحدث، وخاصةً في زمن فيه عدم استقرار، لايزال هناك طوائف من اليهود والمنافقين، ولايوجد استقرار لأهل الإيمان في هذه البلد، ليس هناك تمكين شامل لهم.،

في هذه الأوقات ينبغي أن نقلل من التَّنَاجِي بين المجموعات الصغيرة، لا يصلح أن يكون هناك عدد كبير من مجموعات صغيرة وتحزبات ويكون بينهم علاقات مضارّة بين بعضهم البعض.

يستفيد المؤمن من هذه الآيات: إنه لاسيَّما في زمن تجمُّع الأعداء على أهل الإيمان لابد أن نكون وحدة واحدة، نرتبط بأهل العلم، أن يكون فيه ارتباط وترابط بين المؤمنين بعضهم البعض، لا يكون هناك كثرة تَّناجي يؤدِّي بنا إلى التَّفرُّق، لكن لو كان التناجي يؤّدي للطاعة و اللقاءات تكون في الطاعات، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا مطلوب.

لكن اللقاءات التي فيها مجموعة يلتقوا ليستهدفوا ويسيئوا لفلان، ومجموعة تلتقي لسب فلان، ومجموعة تلتقي لتهدم فلان، هذه مجموعات تؤدي إلى انهيار المجتمع المسلم، فهؤلاء نُهوا عن النجوى لأن ذلك يسبب الحزن والخوف لأهل الإيمان، نُهوا عن النجوى لكنهم لم يلتزموا بالتعليمات، لايوجد حتى الآن تمكين شامل لأهل الإيمان .

"ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ"، وعندما يعودوا، "وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"، يفكروا في معاصي، أو يعتدوا على أهل الإيمان، "وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ"، لأن النبي -صلَّى الله عليه وسلم- نهى عن هذه النجوى؛ فبالتالي يصطحبوا المعصية أثناء التناجي، ثم بعد الانتهاء من التناجي يأتون للنبي -صلَّى الله عليه وسلم- ، ولكن بدلا من أن يُوَقِّروا النبي -صلَّى الله عليه وسلم-، "وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ"، إما أنهم يقولون السام عليك أو من معاني "حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ"-وهذا ليس الأشهر- لا يعاملونك المعاملة التي يرضاها الله -عز وجل- لك.

ربنا -سبحانه وتعالى- أمر أهل الإيمان أن يعاملوا النبي -صلَّى الله عليه وسلم- معاملة فيها توقير، فيها احترام، لكن هؤلاء كانوا يتعمدون ألا يتعاملون بالتوقير أمام أهل الإيمان، أي: هو يتعمَّد أمام أهل الإيمان أن يحدث نجوى فيخاف المؤمنين ، يتعمدون ذلك... يذهب للقائد، يذهب للنبي -صلَّى الله عليه وسلم- يتعامل بعدم توقير، كل ذلك لِبثّ روح الهزيمة النفسية في قلوب أهل الإيمان، فالمؤمن يشعر بعدم توقير للنبي -صلَّى الله عليه وسلم- من اليهود، يشعر بخوف من التناجي بين اليهود والمنافقين، فيخاف أهل الإيمان، كل هذه وسائل ضغط، وسائل لإحداث هزيمة نفسية.

وطبعًا قضية الهزيمة النفسية الآن علم كبير، كيف يستخدم العدوّ الهزيمة النفسية، أقوى من السلاح المادي، لأن المؤمن إذا هُزم نفسيًّا يستسلم، يستكين،

"فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا" [آل عمران:146].

الهزيمة النفسية تؤدي إلى الوصول لآخر مرحلة، الاستكانة!

"ويَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ" لاحظ طريقة تفكير اليهود، تفكير مادي بحت، "ويَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ"، بينه وبين نفسه أو بينه وبين مجتمعاتهم، "وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ" [المجادلة:8].

اليهودي يتعامل مع ربنا -سبحانه وتعالى- كأنّه يتعامل مع البشر، تعامُل سطحي، تعامل ساذج، تعامل في قمة السوء، تعامُل مادي بحت، ماذا يقول؟ شاهد طريقة تفكيره، يقول: أنا الآن أريد أن أثبت لكم، اليهود يقولون للمنافقين يقولون لبعض، نحن سنثبت لكم أنه ليس نبي، فكيف سيثبتون أنه ليس نبيا؟!!!

نحن سنذهب إليه ونلحن في الكلام، نقول: السام عليك، إذا كان نبي المفترض أن ينزل عقاب فوري من ربنا علينا!!!

فكان اليهودي يذهب للنبي -صلَّى الله عليه وسلم- وهو متَّفَق مع اليهود ومتَّفق مع المنافقين، ويقول: السام عليك، فلا تنزل عقوبة فورية، فيقول لهم: أرأيتم ... لو كان نبيًّا حقًّا لنزل العقاب، يتعاملون مع الله وكأنه حاشاه -سبحانه وتعالى- يعجل بالعقوبة ليس بحليم!!!

- الإنسان الذي عنده طيش يريد أن يكون العقاب فوري، لكن دائما الذي يُعَجِّل بالعقوبة هو الذي يخاف من أن يُفْلِت منه عدوه، لكن الله -عز وجل- لن يفلت أحدٌ من قبضته أبدًا -سبحانه وتعالى-، فالله -عز وجل- لا يُعَاجِل بالعقوبة.
- ثانيًا: النقطة الثانية عدم فهم سنة ربنا -سبحانه وتعالى- في خلق الكون، الله -عز وجل- جعل الدنيا دار ابتلاء في الأصل، وجعل الآخرة دار جزاء في الأصل، قد تُعَجَّل بعض العقوبات لبعض الناس في بعض المعاصي، كما حدث في إهلاك فرعون، قد تُعَجَّل بعض العقوبات لكن الأصل أنَّ الجزاء في الآخرة، فبعض الناس مُعْتَقِد أنّ الشخص مادام تكلم بكلمة الكفر ولم ينزل عليه عقوبة فورية؛ إذًا هذا يعني عدم وجود إله!!!، أو لا توجد عقوبة!!!، أو أن هذا ليس كفرا!!! ...لا.

هذه شبهة ...وتجد بعض الملاحدة في هذه الأزمنة ماذا يقول؟

يقول: لا تدافع عن ربنا، إذا كان كلامنا خطأ المفترض أن تنزل علينا عقوبة فوريَّة من السماء.

فماذا رد عليهم القرآن؟

"حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا" [المجادلة:8]، أنت حسبك جهنم؛ تكفيك جهنم.

فالأصل ليس تعجيل العقوبة ستأتي العقوبة كاملة، وافية، شاملة، في جهنم -والعياذ بالله- في يوم القيامة.

"وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ"، الرَّدّ عليهم، "حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ"، هذا خطاب لليهود والمنافقين.

ثم قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ" [المجادلة:9]، إذا اضطررتم في هذه الأوقات للنجوى، "فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ"، لا تصطحبوا الإثم والعدوان ومعصية الرسول، "وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ"، اجعل هذه العلاقات التي بينكم، علاقات المجموعات داخل المجتمع المسلم، اجعلها مجموعات طاعة، اجعل هؤلاء يلتقون على العلم، هؤلاء على العبادة، هؤلاء على الطاعة، هؤلاء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذايؤدي للتقارب بين فئات المجتمع.

ثم قال تعالى : " إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا" [المجادلة 10]

نحن قلنا أن الغرض الأساسي من التناجي أن يحزن المؤمن، هذا غرض أصيل عند الشيطان، ركّز معي، "إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ" الشيطان ماذا يريد؟ يريد العاقبة والمآل: "ليحزن الذين آمنوا".

الشيطان يريد للمؤمن أن يكون حزينًا، يريد أن يكون أهل الإيمان في قمة الحزن، يريدهم مهزومين نفسيًّا، يريدهم أن يكونوا في حالة اكتئاب، في حزن، في حالة من الشلل، في حالة من عدم القدرة على المواجهة، الشيطان يريد أن يُوصِلك دائمًا لهذا، يقول لك: لا يوجد أمل، لا تحاول، ستظل دائمًا في استضعاف، الدين لن ينتصر أبدًا، لا تحاول، لا يوجد رزق.

دائمًا "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ" [البقرة:268]، الشيطان يُخوِّف، الشيطان يَعِد بالفقر، لكن المؤمن دائمًا مستبشر بالله –سبحانه وتعالى–، الله قادر على كل شيء، المؤمن مستبشر بالآخرة، مستبشر بيوم القيامة، مستبشر بقدرة الله –سبحانه وتعالى–.

لذلك قال ربنا –سبحانه وتعالى–: "وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" [المجادلة:10]،

أي أنه لو حصل لك ضررٌ فاعلَم أنه من عند الله، وأنَّ الله أَذِن لهذا الضرر أن يَصِل إليك، وأنَّ هذا الضرر فيه خيرٌ لك.

"وَعَلَى اللَّهِ" وحده –سبحانه وتعالى-، "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" أي: عليه وحده –سبحانه وتعالى- فليتوكل المؤمنون، لايتوكلون على أحد سواه –سبحانه وتعالى-.

فالمؤمن حين يرى تخطيط المنافقين واليهود، والتَّناجي بينهم، والتدبير للكيد يتوكل على الله، يأخذ بالأسباب، ينطلق، لا يصيبه الحزن، لاتصيبه الهزيمة النفسية، نحن قلنا أن هذا غرض أصيل للشيطان من التناجي.

ولو أن القرآن ذَكَر مثالًا الذي هو التناجي بين اليهود والمنافقين؛إلا أن القضية ليست الاقتصار على هذا المثال وحده، فالآن بإمكان اليهود أن يقوموا بأي طريقة؛ لِبثّ روح الهزيمة النفسية، مثلًا ينشروا فيديوهات تعذيب، ينشروا وثائق معيَّنة تجعل في قلب الإنسان هزيمة، تجعله مُحْبَط، أنه لا يوجد أمل؛ فيصيبه الحزن.

لذلك أخطر شيء يصيب المؤمن الحزن الذي يؤدي إلى الشَّلل،قد تكون بعض مشاعر الخوفٌ تؤدي إلى العمل، لكن يوجد خوف وحزن يؤدي إلى الشلل، هذا نُهينا عنه.

إذًا مسألة أن يكون المؤمن حزينًا، مكتئبًا، مُحْبَطًا، هذا نُهينا عنه، لا يُتَعَبَّد لله –عز وجل- بمثل هذه المشاعر، هذه المشاعر المحبِطة لا يُتَعَبّد الله –سبحانه وتعالى- بها.

لذلك بعض الناس التي تُتابع أخبار المسلمين وليس عنده رصيد إيماني، رصيد من القيام، رصيد من الطاعة، رصيد من الوحي، رصيد من التوكل، ويتابع تفاصيل أخبار المسلمين في الأرض، يصيبه إحباطًا، يصيبه يأسًا.

أنت لست مُطالَبًا بذلك، أنت بحاجة إلى توازن، تُتابع أخبار المسلمين على قَدْر الزّاد الذي عندك، بإمكانك أن تتابع المجمَلات مبدئيًّا ولا تدخل في التفاصيل إلا بقَدَر.

فالأمر يحتاج إلى توازُن: لا تبتعد كليةً عن أخبار المسلمين، ولكن بدون المتابعة التفصيلية المؤلمة التي تُوصِلك -وأنت أعلم بنفسك- إلى حالة من الإحباط، حالة من الحزن، فهذا غرض عند الشيطان

"إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ".

ثم يأتي النداء الثاني لأهل الإيمان،

النداء الأول قضية التَّناجي، إذًا السورة هنا تُنظِّم علاقات مجتمعية: علاقة التناجي سواء بين اليهود والمنافقين، أو بين المؤمنين وبعضهم البعض.

العلاقة الثانية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" في مجلس النبي —صلَّى الله عليه وسلم-، "إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" [المجادلة:11]،

المفسرين اختلفوا ماذا تَعني "إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ"؟
ما هو هذا المجلس أو المجالس كما هو في قراءة حفص؟
ما هي هذه المجالس التي أُمرنا بالتفسُّح فيها؟

قيل: مجالس العلم كما هو مرويٌّ عن قتادة...

ويرويٌّ عن ابن عباس -وإن كان السند فيه مقال- المقصود مجالس القتال.

أيّ: مجلس مع النبي —صلى الله عليه وسلم- كان يحدث فيه تزاحم حول النبي —صلى الله عليه وسلم-، إذًا هنا الدعوة بدأت تصل لمرحلة أنها تحقق انتشارًا، بدأ المؤمنون يُقبِلوا على النبي —صلى الله عليه وسلم-، بدأت الناس تريد الاقتراب من النبي —صلى الله عليه وسلم-، لدرجة أن امرأة تسأل النبي —

صلى الله عليه وسلم– في قضايا شخصية تخصها، فيوجَد إقبال ويوجد تزاحم حول النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ماذا نفعل في هذه المرحلة؟

أحيانًا ينتشر الدين، أهل العلم عليهم إقبال، عليهم تزاحم، كيف نتصرف في هذه المرحلة؟ هنا الدعوة تحتاج إلى التفسُّح "إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا".

أيّ دعوة تفشل في هذا الخُلُق –خُلُق التفسُّح– تؤدي إلى حالة من الضجر والضيق والتنافر عنها.

ماذا يعني هذا الكلام؟ أيْ: هناك دعوات تقوم بالدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– فتكون قلةً في البداية، وبعد ذلك يُقبِل الناس عليها، فلو أن هذه الدعوة لم تستطع أن تستقبل الجديد، وتتفسح له، وتوفر له مكانًا فسيَنفُر الجديد ويبتعد.

دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم- استطاعت أن تتفسح وتتوسع وأن تجد مكانًا للمُقبِل... للجديد.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُم..."

هذه الآية لها معنيان:

- هذا هو المعنى الأول أنه حين يتواجد أناس في مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم– وجاء أحدٌ يريد أن يَحضر مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم–، والكل يريد أن يقترب من النبي –صلى الله عليه وسلم–، نحاول أن نتفسح له ونجد له مكانًا، والجزاء: "يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ".

أين يفسح الله لنا؟ يفسح الله لنا في المجلس، أم في الرزق، أم في العمر، أم في الصدر؟

قيل: العموم، انظروا إلى جزاء الله –سبحانه وتعالى-.

لذلك النبي –عليه الصلاة والسلام- قال: "إنَّ أفضلنا" أفضل الناس في الصلاة "أليَنكم مناكب"[2]، الذي يتفسح لأخيه ويُدخله بجواره.

فلذلك عندما نكون في مجلس سواء هذا المجلس بنائي، كمجلس علم مثلما كماهو مروي عن قتادة، أو مجلس فيه شغل مثل القتال، أو دعوة. لابد أن تُفسِح المجال لأخيك، شخص يريد أن يقف بجوارك في الصف، فلابد أن تُفسِح له المجال.

إذاً لابد أن نتعلم هذا الخُلق في الدعوات التي تنشأ ((أن تُفسح المجال للمُقبل))

اليهود كانت دعوتهم منغلقة، كانوا منغلقين على أنفسهم رافضين لأي أحد، لذلك كانوا يعيشون في المدينة ولم تكن دعوتهم تنتشر، أخلاق الانغلاق هي أخلاق عند اليهود وجاءت الآية أيضًا بعد الكلام عن اليهود.

فإذاً هذه الدعوة–دعوة الاسلام- لابد أن تُبنى، بأن تُفسِح المجال لمن يُقبِل، لذلك كان من علامات موت النبي –صلَّى الله عليه وسلم- ونجاح هذه الدعوة،"وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" [النصر:2].

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوإِإِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُم..."

نداء لأهل الإيمان : نعم أنتم تحرصون على القرب من النبي –صلَّى الله عليه وسلم-، نعم الكل يريد أن يقترب من النبي –صلَّى الله عليه وسلم- الكل يريد أن يشارك سواء في البناء العلمي أو في البذل والعطاء، سواء القتال أو الدعوة أو غير ذلك، لكن إذا جاء الجديد فأفسِحوا له المجال.

[2] [عن عبدالله بن عمر:] خيارُكُم ألينُكُم مَناكبَ في الصَّلاةِ، وما مِن خطوةٍ أعظَمُ أجرًا مِن خطوةٍ مَشاها رَجلٌ إلى فرجةٍ في الصَّفِّ فسدَّها- المنذري (٦٥٦ هـ)، الترغيب والترهيب ١/٢٣٤ • إسناده حسن • أخرجه البزار (٥٩٢٢)، والطبراني (١٢/٤٠٥) (١٣٤٩٤) وفي «المعجم الأوسط» (٥٢٤٠) واللفظ له

فدائمًا القضية ليست في المكان، القضية في الأنفس، أحيانًا يكون المكان متسع وتشعر بضيق، وأحيانًا يكون المكان فيه ضيق وأنت تشعر بسعة، فالقضية في النفس أن تستشعر بقيمة أخيك بجوارك في الصف، القضية أن يكون في الصف مكان؛ الصف يتسع للجميع، والثغور كلها مفتوحة متاحة؛ لكن أحيانًا الشيطان يُزين لنا: أن فلانا لو جاء سوف يُضيق عليّ في الدعوة، فلانا لو جاء سيُضيق عليّ في العلم، فيُزين لي الشيطان أن أطعنه في ظهره! أو حتى ألا أطعنه في ظهره! بمعنى أنني لن أُقدمه أو ألا تتواجد بيننا علاقة من الأصل ، لماذا؟!!!

أَفسِحْ المجال لأخيك في الصف، ويكون عندك ليس فقط خُلُق أنك تُفسِح المجال لأخيك، الخُلُق الأعلى من ذلك أن تبحث عمن هو أفضل منك في هذا المجال، " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا" [القصص:34].

بمعنى أنك تقف في مكانٍ ما في ثغر من ثغور المسلمين، لكن أنت تعلم أن فلانا أفضل منك فأنت تُقدمه لهذا المكان.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا"

سَنُسيّر هذه الآية أولاً على سياق أن هذا مجلس النبي —صلَّى الله عليه وسلم- سواء مجلس علم أو غير ذلك والأشهر أنه مجلس علم، الناس كانت تأتي لتحضر مجلس النبي —صلَّى الله عليه وسلم- فيأتي رجل جديد يريد أن يحضر المجلس فيجد فيه زحام، فأمر أن نتفسح للقادم، " تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا"،

أحد معاني النشوز هنا أي: وإذا انتهى المجلس وطُلِب منكم تنفيذ هذه الأوامر فانشزوا؛ النشوز فيه ارتفاع، المرأة الناشز:هي التي تريد أن ترتفع على زوجها في الأخلاق.

فانشزوا أي : ارتفعوا من على الأرض كفى جلوسًا وقوموا إلى الأعمال، قوموا إلى الطاعة، قوموا إلى الجهاد، قوموا إلى الدعوة، قوموا إلى البذل، أنت تلقيت العلم لابد أن تُتبِع العلم بالعمل .. "فانشزوا".

" وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ"،

أهل العلم الحقيقيين هم الذين يطبقون ما تعلموا، فكما ارتفعتم من المجلس وقمتم لتطبقوا وتلقيتم العلم وطبقتموه،"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"، أحد أسباب زمزمة الدعوات وعدم وجود مكان للجديد أن الناس لاتنشز، أن الناس لا تعمل، الناس لا تُطبق ما تعلمت، فتجد زحام في أماكن، وأماكن فارغة، تجد ثغور فارغة، وثغور عليها زحام.

سوء التنظيم وسوء الترتيب هذا سببه أننا نتقاتل على أماكن ونترك أماكن، أو أننا نكتفي بالسماع ولا نطبق ما نسمع.

أحد الأسباب التي وردت –وإن كان في سندها مقال–في نزول هذه الآية، أن الذي جاء متأخرًا ليس الجديد؛ إنما القديم، أصحاب بدر الذين شهدوا بدراً مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، أهل الفضل، وأن هناك أشخاص سبقوهم لمجلس النبي –صلَّى الله عليه وسلم–.

فجاء أهل البدر فأراد النبي –صلَّى الله عليه وسلم– أن يُجلِس الأكابر بجواره، تمامًا مثل الذين يقفون خلف الإمام، المفترض إنهم أولوا الأحلام والنُهى.. حفظة القرآن، فلو أن أحد سبق من غير حملة القرآن لهذا المكان ، فيُرجِعه أهل حفظة القرآن وأولوا النهى ليقفوا هم خلف الإمام، لأن هذا مكان يحتاج فيه الإمام إلى هذا الرجل خلفه، فكذلك النبي –صلَّى الله عليه وسلم– يريد أهل بدر أصحاب بدر بجواره، فسبق بعض الناس فأراد النبي –صلَّى الله عليه وسلم– أن يُقيم بعض الناس، "وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا"، أن يُقيم الذين سبقوا ويُجلس مكانهم هؤلاء الأكابر، فوجدوا في صدورهم وتكلم المنافقون، وقالوا: يقيمكم ليُجلِس أصحابه، ما عدل بينكم... وحدثت فتنة.

السبب كما قلت فيه مقال، لكن نتعلم أن الإنسان يُفسِح لأهل العلم، يُفسِح للأكابر، نعم لا يُقيم الرجل من مجلسه ليجلس فيه، ونلاحظ أن أهل بدر ليسوا هم من أقاموا الناس ، النبي –صلَّى الله عليه وسلم– هو الذي أقامهم على هذه الرواية، أو روي عن النبي –صلَّى الله عليه وسلم– أنه هو الذي أقامهم

فلذلك نتعلم سواء أن القديم يُفسِح للجديد، أو أن الجديد يحترم القديم، -فسبحان الله- الآية تحتمل المعنيين، والمعنيان مهمان، أن الذى أقبل وكان له باع في الالتزام، في الدين، يحترم الذي جاء جديداً ويُفسِح له المجال ، وهو يعمل في طرف ويترك له مكان معين، أو يُفسِح له في المكان. أو أن العاملين لدين الله —عز وجل- يسع بعضهم البعض، أو أن الذي جاء جديدًا وما زال في بداية الالتزام، ما زال في بداية الدين، يحترم أهل العلم والفضل ويعرف لهم فضلهم، لذلك هنا، " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"، أي أنكم إذا قمتم من مجلسكم وتركتم هذا المجلس لغيركم فهذا ثوابه أن الله —عز وجل- يرفع درجاتكم، فكما أنكم تركتم المكان تواضعًا منكم، وتركتم هذا الحق لغيركم، فالله —عز وجل- يرفعكم عنده.

فليست القضية بالقرب من النبي —صلَّى الله عليه وسلم- والبعد، القضية في العلم والتطبيق، في العلم والعمل،أى إذا كنتم تحرصون على القرب من شخص النبي —صلَّى الله عليه وسلم- ليس هذا هو الذي سيحدد الدرجات في الجنة،

ليست القضية فى الاقتراب الجسدي، القضية بالعمل والعلم

ابن سلول كان بجوار النبي —صلَّى الله عليه وسلم- ويجلس بجواره، ويقف بجانبه، ويصلي خلفه ثم ماذا؟

كان هو رأس من رؤوس المنافقين. وقد يؤمن أحد لم يرَ النبي —صلَّى الله عليه وسلم- أصلًا و يكون بالقرب من مجلس النبي —صلَّى الله عليه وسلم- يوم القيامة.

إذاً القضية في العلم والعمل. إذاً الدعوة لابد أن يكون فيها تَفَسُّح فتسع المقبل، الدعوة لابد أن يكون فيها عمل، الدعوة التي تكتفي بالكلام يكون فيها زحام في أماكن وفراغ في أماكن، فلابد أن الجديد يحترم القديم، والقديم يقدر الجديد.

" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"، القضية قضية نفسية، لابد أن نسع الناس بصدورنا وبأخلاقنا، لأننا لا نستطيع أن نسع الناس بأموالنا.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" ؟[المجادلة:12]،

هنا ورد تشريع عجيب جدًا!!!

أنه من يريد أن يناجي النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لابد أن يقدم صدقة، مجتمع مسلم ناشيء، ليس فيه الغنى سائد، أغلب الناس فقراء ، قضية أن في كل مرة الصحابي يناجي النبي –صلَّى الله عليه وسلم– يقدم صدقة كان أمر شاق!!!

ما الحكمة من هذا التشريع؟!!

قيل بسبب التزاحم على النبي –صلَّى الله عليه وسلم– وهذا أمر مهم جدًا، أحيانًا تجد تزاحم على أهل العلم، فالإنسان دائمًا الذي يدفع المال في شيء فإنه يُقدر قيمته، فمثلا حين تدفع ثمن كشف لدى طبيب وتجلس تنتظر تعرف قيمة وقته، لكن ممكن أهل العلم لا يُؤبه بهم!

يقول لك أحدهم لا مشكلة!، وماذايشغله!، ينبغى أن يرد عليّ في أي وقت! من المفترض أن آتى إليه فى أى وقت!!!،فلا يحترم الاوقات!!!

والعجيب أن هذه الآية تأتي فى سورة، جاء في أولها أن إمرأة جاءت تُناقش وتحاور النبي –صلَّى الله عليه وسلم– في قضية شخصية، فتخيل لو أن المجتمع بأكمله فعل ذلك في وقت واحد، يعني أن النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لن يتفرغ لأعبائه وأعماله، فالقضية تحتاج إلى ترتيب.

فجاء هذا التشريع لتعرف أولًا قيمة وقت النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، ولا تناجيه إلا في أمر هام ليس عندك فيه علم، لن تستطيع أن تصل إليه إلا من خلال النبي –صلَّى الله عليه وسلم–. فإذا تحققت هذه الشروط تذهب للنبي –صلَّى الله عليه وسلم–. لكن أنت تتعلم أن تحافظ على وقت النبي –صلَّى الله عليه وسلم–.

وقيل أن المنافقين -انتبه معى- المنافقين كانوا يحاولون أن يشغلوا النبي -صلَّى الله عليه وسلم- حتى لا يجلس مع المؤمنين، فكانوا يسألونه في أي شيء، يذهبوا ليسألوا النبي -صلَّى الله عليه وسلم- في أي شيء. فيجيء أهل الإيمان يريدون أن يسألوا النبي -صلَّى الله عليه وسلم- المنافق يسأل، والمنافق الذى بعده يسأل، ويرتبون أسئلة كى يشغلوا النبي -صلَّى الله عليه وسلم- عن المؤمنين. فالمنافق عنده المال ثقيل، فحين يقال له: ادفع صدقة لن يدفع، لكن المؤمن يدفع صدقة، وقيل أن بعض الناس كان يسأل في الأمور التي ليست بمهمة، فجاءت هذه الآيات لترتيب وقت النبي -صلَّى الله عليه وسلم-.

"فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً"،

وإذا قيل لماذا الصدقة؟

عندما تبذل لشيء تعرف قيمته، وأيضًا أن الصدقة تشعرك أن هذا الوقت مع النبي -صلَّى الله عليه وسلم- عبادة، جلوسك بين يدي أهل العلم عبادة، ذهابك وسؤالك لأهل العلم تطلب التوفيق من الله -عز وجل- أن ينزل على لسانهم، فتقدم هذه الصدقة لتكون في جو معين من الإيمان.

أنت تذهب لأهل العلم تبحث عن مراد الله، فتسأل الله -عز وجل- أن يوفق العلماء للإجابة الصحيحة، فأنت تذهب للنبي -صلَّى الله عليه وسلم- وهذه الصدقة التي تقوم بها تُدخلك في حالة من الإيمان أن القضية ليست عبثاً، أو أنك ذاهب لقضاء وقت فحسب، فتضيع وقت أهل العلم.

أن تذهب للنبي -صلَّى الله عليه وسلم- في أي وقت الأمر ليس كذلك! فالصدقة لمعرفة قيمة وقت النبي -صلَّى الله عليه وسلم-، لصرف المنافقين، الذين كانوا يسألون النبي -صلَّى الله عليه وسلم- في قضايا ليست هامة، أيضًا للدخول في هذه الحالة من الارتباط بالله -سبحانه وتعالى- قبل الجلوس مع النبي -صلَّى الله عليه وسلم- فكأنك ترتبط بالله قبل أن تصل للنبي -صلَّى الله عليه وسلم-، فتحقق ما فعلته المرأة أنها كانت تحاور النبي -صلَّى الله عليه وسلم- لكنها كانت تشتكي إلى الله، كان القلب متعلقاً بالله، ليس بشخص النبي -صلَّى الله عليه وسلم-.

" ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ"، يزكيكم بالصدقة،" خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ"، إما أنها تنقي الصف من المنافقين، أو تنقي القلب من التعلق بالدنيا. " ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، دائمًا الشريعة تأتي باليسر. " أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ" ، ما دمتم قد عرفتم قيمة وقت النبي –صلَّى الله عليه وسلم-، فقد عفا الله عنكم ،ونُسخ هذا التشريع، بعدما عرفنا قيمة وقت النبي –صلَّى الله عليه وسلم-.

" فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ"،

العلماء اختلفوا ماعلاقة الأمر،" فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، بعد نسخ تشريع حكم أن تقدم بين يدي نجوى النبي –صلَّى الله عليه وسلم- صدقة؟

بعض أهل العلم –كالطبري ومال إليه ابن عاشور– قالوا: أنه إذا نُسِخ هذا الحكم، فهناك أحكام أخرى لم تُنسَخ. فإياكم أن تعتقدوا أن كلَ حُكمٍ يَثقل عليكم يأتي النسخ، كى لا تقول طالما أن الصدقة نُسِخَت إذاً يمكن نسخ الصلاة أيضاً، فنقول أن صلاة العشاء ثقيلة علينا، لأن المنافقين طبعًا أثقل الصلوات عليهم الفجر والعشاء، فيقولون أن الفجر يُنسَخ، وأن العشاء تُنسَخ، وأن أي شيء يستثقله الإنسان قد يُنسَخ، فقال لله –عز وجل- هناك أحكام ثابتة لا تُنسَخ، " فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ"، والطاعة العامة، "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ".

وقد يكون والله أعلى وأعلم الغرض من مجيء،" فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، إنشغلوا بالطاعة، ولاتنشغلوا بكثرة المناجاة، لأن أحيانًا الإنسان يريد أن يجلس بجوار النبي –صلَّى الله عليه وسلم- ويتكلم معه، هذا أمر قد يكون طيب، لكن في وقت دعوة تنتشر، ودعوة تكبر، ودعوة تحتاج للتَفَسُّح ودعوة فيها أناس جدد، ودعوة أناس تريد أن تسأل على قضايا شخصية، لا يصح أن نضيع أوقات هؤلاء. فلابد للإنسان أن يحرص على أوقات أهل العلم وأهل الفضل، هو الذى يحرص على أوقاتهم، هو الذى يوفر لهم الأوقات وينشغل ليس بكثرة الكلام، ينشغل بالطاعة، فإذا انشغل الإنسان بالصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة لن يحتاج أن يذهب إليهم إلا في الضرورات، في القضايا التي يحتاج إليها فعلًا.

"فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"، الله خبير لماذا ذهبت تسأل النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، لأن بعضهم كان يسأل النبي صلَّى الله عليه وسلم– لمجرد فقط أن يقول جلست مع النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، شخص يذهب يسأل الشيخ ثم يقول أناجلست معه وتكلمت معه فقط، " وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"، لاحظ إن اسم الله الخبير تكرر كثيرًا في هذه السورة، كما قلنا هذه السورة التي تعلمك مراقبة الله –عز وجل– في المشاعر، في الأقوال، في المجالس، في الصدور، هذه السورة العظيمة التي تزرع فيك هذا الخُلُق.

اسأل الله –عز وجل– أن يجعلنا من أهل المراقبة، ومن أهل القرآن الذين هم أهل الله –عز وجل – وخاصته، وأن يستعملنا في طاعته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي و لكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.